

التبيان في تفسير القرآن

(101) الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا " (3) فأملوا أن يخف عنهم العذاب بمثل هذا الكلام على عادة الدنيا ، فلم يخف ولم يكن لهم فيه راحة ، فقال ا " انظر كيف كذبوا على أنفسهم " أي خابوا فيما أملوا من سهولة العذاب وذلك مشهور في كلام العرب ، قال الشاعر: كذبتكم وبيت ا لا تأخذونها * مراغمة مادام للسيف قائم (4) وقال آخر: كذبتكم وبيت ا لا تنكحونها * بني شاب قرناها تصرو تحلب (5) أي كذبكم أملككم. وقال ابوداود الازدي: قلت لما نصلا من فتنة * كذب العير وان كان برح (6) والمعنى أمل أنه يتخلص بشئ فكذبه أمله ، لانه ظن أنه اذا مر بارحا وهو أن يأخذ في ناحية الشمال إلى ناحية اليمين لم يتهيا لي طعنه ، فلما قلب رمحه وطعنه قال: كذب العير أي كذب أمله. و (الفتنة) في الاية معناها المَعذرة - في قول قتادة - لانها اعتذار عن الفتنة ، فسميت بأسم الفتنة. وقال قوم: هي المحنة. وقال قوم: تقديره عاقبة فتنتهم. وفتنتهم يجوز أن تكون بمعنى اغترارهم أي اغتروا بهذا الكذب ووطنوا أنه سينجيهم ، وكذبوا على أنفسهم لما رجعت مضرته اليهم صار عليهم وان قصدوا أن يكون نهم. وفي الاية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية ، لان ا تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا " وا ربنا ما كنا مشركين " فلا يخلو أن يكونوا صادقين أو كاذبين ، فان كانوا صادقين لانهم كانوا عارفين في دار الدنيا فقد كذبهم ا في ذلك بقوله " انظر كيف كذبوا " وان كانوا كاذبين لانهم كانوا عارفين ، فقد وقع منهم القبيح في الاخرة ، وذلك لا يجوز. ومعنى الاية على ما بيناه _____ (1) سورة 41 حم السجدة آية 29 (4) مجمع البيان 2: 290 (5) قائله الاسدي. اللسان (قرن). (6) اللسان (كذب).